

الأنا والآخر عبر لعبة المتخيل

The ego and the other through the game of the Imagineer

عائشة بومهرار *

¹ جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (الجزائر)

الملخص:

إن الآخر هو قدرنا، نهرب منه لنعود ونلتقي به في النهاية، هو الهروب منه وإليه في الآن نفسه، حيث لم يعد هناك في حقيقة الأمر "مفر أو مهرب من الاتصال بالآخر، خاصة ذلك الآخر الأقوى"، كل واحد فينا يسكنه هاجس الآخر ويؤرقه باستمرار، سواء اعترف بذلك أم لا يعترف، لأن هذا الأخير (الآخر) يبقى يشهد دوماً بمختلف أوجهه ومراياه (الآخر/ الغربي، الآخر/ الذكوري، الآخر، السياسي، الآخر/ الأنثوي...) الحضور المكثف والمتميز من طرف الأنا بمستوياتها وأنشطاراتها المتعددة هي الأخرى، هو ثاو في أعماقها ولا شعورها، وإذا كان بإمكانها الانفصال عنه رمزياً أو بالأحرى إجرائياً، فهي لن تستطيع نفيه وإلغاءه بصورة نهائية ومطلقة.

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، المتخيل.

Abstract:

The other is our destiny, we run away from it to come back and finally meet it, is to run away from it and to him at the same time, where in fact there is no longer "an escape or escape from contact with the other, especially that stronger other", each of us is haunted by the obsession of the other and constantly haunts him, whether he admits it or not, because the latter (the other) always keeps witnessing in its various facets and mirrors (the other/ Western, the other/ masculine, the other, political, the other/ feminine... The intense and distinct presence of the ego with its multiple levels and divisions is also Thao in its depths and insensitivity, and if it can separate from it symbolically or the other way procedurally, it will not be able to negate and cancel it definitively and absolutely .

Keywords: The ego, the other, the visualizer.

المقدمة:

إن الآخر هو قدرنا، نهرب منه لنعود ونلتقي به في النهاية¹، هو الهروب منه وإليه في الآن نفسه، حيث لم يعد هناك في حقيقة الأمر "مفر أو مهرب من الاتصال بالآخر، خاصة ذلك الآخر الأقوى"²، كل واحد فينا يسكنه هاجس الآخر ويؤرقه باستمرار، سواء اعترف بذلك أم لا يعترف، لأن هذا الأخير (الآخر) يبقى يشهد دوماً بمختلف أوجهه ومراياه (الآخر/ الغربي، الآخر/ الذكوري، الآخر، السياسي، الآخر/ الأنثوي...) الحضور المكثف والمتميز من طرف الأنا بمستوياتها وانشطاراتها المتعددة هي الأخرى، هو ثاو في أعماقها ولا شعورها، وإذا كان بإمكانها الانفصال عنه رمزياً أو بالأحرى إجرائياً، فهي لن تستطيع نفيه وإلغاءه بصورة نهائية ومطلقة، لأنها في الواقع "ليست وحدة إلا ظاهرياً، إنها عميقاً تمزق وانشقاق و"الآخر" نفسه مقيم (سلباً أو إيجاباً) في قرارات "الأنا"، لهذا لا فصل دون وصل، لا (أنا) دون (الآخر)، والهوية الحية البصيرة (أو كما يعبر عنها عبر الكبير الخطي هي في هذا التوتر العلائقي الخصب، الملتبس بين الأنا والآخر، دون ذلك تكون الهوية هوية الحجر والشيء، لا هوية الإنسان والوعي"³ إذن هناك وصل مستمر بين الأنا والآخر، ومن منطلق هذا الوصل المستمر تدخل الأنا في علاقة حتمية مع الآخر بكل تناقضاته بتشكيل بذلك خطاب خاص، إنه خطاب الأنا والآخر بكل تناقضاته، وتعييداته، وملاساته "هو خطاب مصبوغ بالكذب والزيف السياسي والاجتماعي والثقافي..... خطاب مسخر للمصلحة الذاتية والآنية"⁴، وهو يعبر في مضمونه العام عن الأزمة القاهرة التي يعانيها الإنسان، والتي يبدو أنها أصبحت تدفع حقيقة وأكثر من أي وقت مضى إلى إعادة طرح وتشكيل الكثير من العالقة حولها، بطريقة مغايرة تمس كل الميادين وتمتد إلى كل مجالات الحياة، فالأمر أصبح يتعلق بتأزيم النصوص والواقع والتاريخ، ووضع دواتنا في أزمة اللا مفكر فيه، حتى لا نستمر في غض الطرق عن الفروق الثابتة في مكونات المجتمع والثقافة والأخلاق، وحتى لا تبقى مفاهيم الهوية والوحدة والأصل والمركز والهامش....، تركز للثبات والجمود، فلا بد من العمل على خلخلتها وزعزعتها لتكشف عن بعض مغالطاتها وملاساتها....

هكذا إذن؛ لقد أضحت إشكالية الأنا والآخر اليوم من الأمور التي لا يمكن وضعها جانبا، بل إنها من الأمور التي تتطلب الجدية والحذر في التعامل معها، خاصة ونحن في مرحلة من سيماتها الأساسية ضرورة إعادة النظر بالذات والأمس، واكتشاف معالم الغد والآخر "في عالم أصبح فيه مفهوم التكامل والمثاقفة حاجة ماسة لاستمرار الحياة وتقدمها"⁵، إن المسألة في عمقها أصبحت مسألة تفاعل وتواصل تفرضه اللحظة الحضارية الراهنة وتستدعيه حتمية الاستمرار والسيروية في هذا العالم، مما يعني؛ ضرورة إيجاد صيغة جديدة في تعاملها مع دواتنا ومع الآخر بمراياه ومستوياته المتعددة، وكذا إيجاد صيغة جديدة في تعاملنا مع الواقع بأنساقه الثقافية وخطاباته الثابتة المترسخة في المخيال الجمعي، بهذا نكون أمام عملية جادة تطمح لمساءلة لعبة المتخيل في صناعة الآخر، ومن ثمة مساءلة نمط التفكير والسؤال، ونقله من

سلبية المفعول به إلى إيجابية الفاعل، وتسعى لكشف وزعزعة العلاقات التراتبية بين البشر، ومن ثمة تغير النظرة إلى العالم والذات والآخر على حد سواء.

1. خطاب الأنا والآخر وسؤال الاختلاف

والأكيد في هذه الحالة سنكون بحاجة إلى سؤال من نوع خاص، هو سؤال يتخذ من الاختلاف والحوار منطلقه الأول مختبرا بذلك الفكر الأبوي المتسلط بمفاهيمه وقيمه وتصورات المتعددة الأوجه، سؤال يسمح بوضع هذه الإشكالية -الأنا والآخر- موضع استنطاق، ومساءلة بطريقة جادة تنطلق من الحفر والنبش في مكونات الثقافة وترسباتها المختلفة التي أسهمت في إنتاج خطابات -دينية، تاريخية، سياسية...- هذه الأخيرة عملت بدورها على تكوين بنية أبوية مهيمنة من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي، ومن مستوى العائلة إلى مستوى الدولة، لقد أسهمت منذ الزمن البعيد في ضبط وتحديد العلاقات التي تخص الوجود الإنساني سواء بينه وبين نفسه، أو بينه وبين نظيره الإنسان، أو بينه وبين تاريخه وتراثه، لا بل حتى بينه وبين خالقه مادامت هي من تملي عليه نمط تفكيره وسلوكه وأقواله وأفعاله من خلال تلك التأويلات والشروح والتفسيرات حول نص الوحي/ نص التنزيل والتي اكتسبت صيغة القداسة وأصبحت هي الدين عينه وكل شيء لا يتم إلا في ضوءها.

إنها مساءلة للعبة المتخيل في صناعة الآخر بالحفر والنبش في المكونات والرواسب التي أسست لذلك التباين والتفاوت.

من هذه المنطلقات ومن أخرى غيرها سنباشر بطرح جملة من الأسئلة حول حقيقة خطاب الأنا والآخر. هل العلاقة التي تربط بين الأنا والآخر علاقة مطابقة وخضوع وانحلاق أم علاقة اختلاف ومناقضة وانفتاح؟ ترى ما العوامل التي تتحكم في تحديد وضبط طبيعة العلاقة التي تجمع بين الأنا والآخر فهي عوامل اجتماعية، سياسية، ثقافية، تاريخية....؟.

هل من المحتمل أن يتحول الخطاب إلى مصدر قوة وسلطة تفرض وتمارس علينا دون أن نشعر بذلك؟. أم يمكن أن نقيم من خلال تلك الخطابات والمقولات الجاهزة علاقات محددة مع دواتنا ومع الآخرين؟. هل يمكن للخطاب أن يؤسس بطريقة عفوية لما نفكر فيه وما نقوله وما نقوم به من أفعال وتصرفات؟. أحقا يمكن الاطمئنان والارتياح لثنائية الأنا والآخر والقائمة دوما على إظهار التهنية للذات في مقابل العدائية والغياب للآخر؟. ألا يمكن أن تكون هذه العلاقات التراتبية خاضعة للطغيان الذي يمارسه الإنشاء بمفهوم "إدوارد سعيد"، إنشاء راح يقدم نفسه دوما على أساس أنه الحقيقة المطلقة التي اكتسبت الشريعة ويحجب بشكل مطلق حقيقة

كونه تمثيلا لا أكثر تزييفا، وتدليسا وغشا، إنه الإنشاء الذي يتخذ من ذات تؤمن بالتفرد والتميز والأحادية، بمعنى ذاتا خاضعة لشروط تكوينها العرقي والديني منطلقها الأول في النظر إلى الآخر والحكم عليه والتعامل عليه والتعامل معه؟.

2 في تفكيك سلطة المتخيل:

هكذا وانطلاقا من هذه الأسئلة يظهر أنه أصبح يتعين علينا القيام بمبادرة تسعى لتفكيك سلطة المتخيل بتشكيلاته التعبيرية، وخطاباته المتعددة ورواسبه المتجذرة في الذاكرة الجماعية، والتي أسهمت في رسم صور للذات عن ذاتها في مقابل رسم صور للآخر المختلف عنها بطريقة أقل ما يقال عنها أنها غير بريئة على الإطلاق... إنها صور مزيفة، خاطئة، مغلوطة... احتلت من الناس ومن تفكيرهم موقع الثقة المطلقة، ومن ثمة أسست بطريقة غير شرعية لعلاقات تراتبية بينهم قائمة على علاقة العبد بالسيد أو قل علاقة المركز بالهامش، ويبدو أن هذه العلاقات لن يتم نقلها من واقع الإنشاء والتمثيل والصناعة نحو أفق الاختلاف والسؤال بحثا عن الحقيقة والشرعية ما لم تكن هناك مساهمة تطمح إلى تعرية وتفكيك وفضح سلطة الخطاب (ديني، سياسي، ذكوري، تاريخي، اجتماعي...) المثقف لسلسلة من القيم والمفاهيم والمسلمات والتي اختلط فيها الحقيقي بالمزيف، والواقعي بالخيالي، والأسطوري الخرافي بالكائن الموجود.

فكيف يمارس الخطاب سلطته على الأفراد ويتحكم في تحديد وضبط علاقاتهم بذواتهم وبالأخرين؟

ترى ما السبيل الذي يمكن من زعزعة وخلخلة طمأنينة هذه الخطابات ومن ثمة تفكيكها وتقويضها؟.

إن الإنسان يبقى دوما منتميا بفكرة وثقافته وهو يتجهز إلى جماعة معينة سواء أكانت مجتمعا أم أمة، والتي تتشكل في بنيتها العامة من مجموعة نظم معرفية وأنساق فكرية ورواسب ثقافية مختلفة، تعتمل بصورة غير مباشرة في تكوين المخيال الجمعي، بتحديد خصوصية الأفراد وهويتهم، وبناء أنماط تفكيرهم وأشكال تعبيراتهم وضبط وتحديد علاقاتهم بذواتهم وبالأخرين، والإنسان هو في النهاية محصلة لأبعاد تاريخية وثقافية واجتماعية" ولا انفكاك لأحد عن ماضيه، بل الإنسان هو علاقته، بأزمته وتواريخه وترسباته"⁶، وهذه العوامل التي تسهم في تكوين شخصية الإنسان من نظم وأنساق تتبلور بشكل عفوي في تشكيلات خطابية جاهزة، تمس الوجود الإنساني بأبعاده الثلاثة ماضيه، حاضره ومستقبله، وهي خطابات متنوعة منها، خطاب الأنا، الذات التراثية ممثلا في الأعراف والتقاليد والعقلية الرجعية....، والخطاب الديني ويشمل العقائد والأخلاق والمبادئ والقيم. والخطاب السياسي ويتمثل هذا الأخير في أنظمة الدولة وأجهزتها وقوانينها وإجراءاتها، وخطاب الرجل بسلطته الذكورية بالنسبة للمرأة... إلخ وكل هذه الخطابات تتحول إلى ممارسته، تكتسب شرعيتها ووجودها الفعلي على أرض الواقع " وإنتاج الخطاب أو الرغبة في تحقيقه كممارسة لا يتم إلا إذا اخترق سياق الأفكار والقيم المسلم بها التي توجه الرأي العام"⁷، ليحتل بهذه الطريقة موقع الثقة المطلقة من الأفراد، حيث يصبح التعامل معها-مختلف الخطابات- يتم باعتبارها صيغا جاهزة أو معطيات مسلم بها ينبغي تكرارها والخضوع لها، وإعادة صياغتها

باستمرار، وغالبا ما يحدث هذا بصورة آلية عفوية لا إرادية، فالإنسان وهو يسير أو يخضع لهذه التشكيلات الطائية، لا يكاد يشعر بضغوطاتها وقيودها لأنها في الظاهر، تبدو خيالية من مثل هذه الأمور، وإن كان في حقيقة الأمر، كل خطاب يضم بداخله مجموعة من الضغوطات والإكراهات "فهو كغيره لا يسلم بدوره من العوائق والإكراهات والممارسات العفوية والضغوطات"⁸، وبهذه الصورة، تصبح أفعال الإنسان وتصرفاته وأقواله وعلاقاته ما هي إلا نتيجة حتمية للخطابات السائدة/ المألوفة، "ونحن في أحيان كثيرة نتحرك فوق رقعة الشطرنج، في حركات تعتقد أنها صادرة عنا وبمحض إرادتنا ولكنها ليست كذلك"⁹، إنها سلطة الخطاب تعتمل بداواخلنا تكبلنا وتحصرنا أينما ولينا وجوهنا، دون الشعور بإثم الخضوع والامتثال لها، هي خطابات ارتكنت للثبات والسكون وامتلكت سلطة نوع خاص "ولاشك أن كل خطاب يحاول أن يمارس سلطة ما، فهذا جزء أصيل في بنية الخطاب، أي خطاب"¹⁰ وهذه الخطابات يمكنها أن تتمر أي على مستويات مختلفة، ثقافية، سياسية، اجتماعية اقتصادية، ومن ثمة "يشهد حضورها في المؤسسات التعليمية والتربوية ومن خلال وسائل الإعلام وحتى في الإجراءات القانونية والسياسية لتبرز بهذا كنشاط خطابي رؤوب يتجسد في الآثار الأدبية والفنية، والأنساق الفلسفية والنظريات العلمية والإجراءات القانونية والسياسية والنصوص الدينية"¹¹.

وإذا كان هذا هو واقع الحال يمكن القول، إن سلطة الخطاب تتسلل عفويا في المخيال والعقل الجمعي، وتقف بطريقة سلمية أمام نوازع ورغبات الأفراد لتضبطها وتنظمها أو لتكبتها في كثير من الأحيان، هو خطاب إذن ينشأ بين السلطة والرغبة ويمارس نوعا من الرقابة السرية/ الخفية ضد الأفراد الذين يمثلون له، "إنه يعقد علاقات محذرة مع الرغبة والسلطة باعتباره موضوعها المباشر والفعال الذي يعكس حضورها وتواجدها في شبكة الممارسة الخطابية الاجتماعية"¹² وفي ظل هذه الخطابات تتحول المجتمعات التي تبناها إلى مجتمعات خطابية بالدرجة الأولى، لا تعمل سوى على إعادة إنتاج وصياغة الخطابات الجاهزة وتكرارها بطريقة تخلو من الإبداع والابتكار والتجديد، لأنها - حسب اعتقادهم - تبقى خطابات متعالية/ مقدسة/ محرمة تستوجب دوما مقابلتها بخطاب آخر هو بالضرورة خطاب المماثلة والمطابقة بامتياز، إنه "خطاب مغلق دوغمائي، إطلاقي، يتضمن الدفاع عن حقيقة مطلقة في كليتها وشموليته"¹³، الأمر الذي جعل منها مجرد أنساق مغلقة/ مفرغة جامدة، منفصلة تماما عن الواقع أو الحاضر الأني، ومن ثمة منفصلة عن السياق التاريخي والاجتماعي والسياسي والحضاري الذي توجد فيه، وهذا لم يمنعها من الاحتفاظ بمنزلتها الخاصة، المتميزة التي تحظى بها في أوساط مختلف المجتمعات، هذه الأخيرة التي معظمها لم تتعود سوى على ثقافة المماثلة والمطابقة والخضوع للسلطة والمألوف أو الجاهز..... لاسيما المجتمعات العربية التي لا تعمل في حقيقة الأمر إلا على تكريس الحضور المكثف لهذه الخطابات وترسيخها بصورة عجيبة في المخيال العربي الجمعي، خاصة وأن الثقافة العربية قد سهرت على تعليم الإنسان العربي ضرورة النظر إليها نظرة تقديس واحترام باعتبارها الملاذ والخلاص النهائي والمطلق لوجود واستمراره،

وعلى العموم فإن " مركزية تعليمنا تلقينا التلقي وتقديس الجاهز المعطى وتحرم كل محاولة للخروج عن المؤلف"¹⁴، ليصبح الخطاب في ظل هذه الثقافة، ثقافة المماثلة والمطابقة "خدثا لا يتوقف عن توليد آثاره ومفعولاته"¹⁵، سيفا مسلطا يهدد انطلاق الفكر وتحرره، والفكر الذي يركن للثبات والسكون والوساوس التراثية وللهاجس الدينية والعرقية ولا يعمل على مساءلة وحاوره ذاته ومناطقها المهمشة /المستبعدة/ المسكوت عنها، يعتبر فكرا جامدا، مغلقا متقوقعا على ذاته، وليس باستطاعته الخروج من هذا التقوقع إلا إذا عمل على تجديد ثقافته بذاته وواقعه، وهذه الأخيرة لا يمكنها أن تجدد "ما لم يقف العقل على مسافة من نفسه، وما لم يتحصل له وعي مغاير بذاته، فيرتد على تراثه وتاريخه من خلال راهنيته بكل شروطها وأبعادها، ويرجع إلى نفسه بعد سيرورته ومغايرته وإذ ذاك تتم مساءلة الأصول، وإعادة قراءتها على نحو يؤدي إلى إعادة اكتشافها وبنائها"¹⁶، بطريقة سلمية تمكنه فيما بعد من الدخول في علاقة إيجابية مع الآخر، تقوم على الاختلاف والحوار الذي يقضي في النهاية إلى نوع من الإنفتاح والمثاقفة بدل المطابقة والخضوع.

ومن هنا أصبح الأمر إذن، يقتضي ضرورة التيقن من أن تلك التشكيلات الخطائية والأنساق والنظم المعرفية المغلقة، قد تشكلت في مخيال الإنسان سواء العربي أو الغربي على نحو خاطئ ومزيف، ينطوي على مغالطات والتباسات عدة، وعلى هذه الصورة-الخاطئة- تسللت وترسبت في أعماقه، حتى أصبحت تمثل عنصرا أساسيا في تكوينه العرقي والثقافي والديني لتوضع انطلاقا من هذا التكوين، الفواصل والحدود والإزدواجيات بين الأفراد، حيث تم تقسيمهم إلى أجناس بشرية تحكمهم علاقة تراثية لا متناهية، لتكون بهذا مبعثا ومصدرا لتلك العلاقة الخلافية السلبية التي تجمع بين خطاب الأنا وخطاب الآخر، سواء تحققت هذه الأخيرة على مستوى عالمي أو محلي، اجتماعي أو عائلي، فهناك دوما ترسبات وأنساق وخطايات تلعب دورها المباشر وغير المباشر في تحديد وضبط طبيعة هذه العلاقة التي غالبا ما تنتهي إلى دمج واحتواء طرف للطرف الآخر، لأنها أصلا موجهة منذ البداية في خدمة مصلحة طرف على حساب الطرف الثاني وبالطبع فهدف الخطاب بالدرجة الأولى هو الصراع من أجل الدمج والاحتواء والسيطرة والقوة " وهو لا يترجم فقط صراعات وعلاقات القوة والسيطرة، ولكنه يعتبر أيضا الموضوع والأداة اللذان يحصل بهما ومن أجلهما الصراع"¹⁷.

وعليه ولما كان هذا هو واقع الحال، فلا سبيل إذن لتغيير طبيعة العلاقة التي تحكم خطاب الأنا، الهامش بخطاب الآخر، المركز ونقلها من واقع المماثلة والدمج والخضوع إلى أفق الاختلاف والحوار والانفتاح إلا بإعادة النظر في مختلف الخطابات وترسباتها والنش والتقيب في أصولها وأساسياتها، ومساءلة واستنطاق الأسس والمبادئ التي تأسست من خلالها هذه العلاقات التراتبية للوصول في النهاية إلى الكشف عن زيغها ومغالطاتها وادعاءاتها، ومن ثمة إمكانية زعزعة وخلخلة طمأنينية تلك البديهيات والمسلمات التي تشكلت في المخيال الإنساني، وبهذه الطريقة والعملية تتم مساءلة أساسيات الذات والآخر والواقع معا، وإن كان هذا "العمل يستدعي جهدا كبيرا لم نشرع بعد في ممارسته بل إن نمط

سؤاله يريد أن يخترق كل الخطابات الرمزية، سواء برزت داخل إطار الدائرة الرمزية المسيطرة أو انبعثت من ذلك الإيقاع اليومي للفئات الاجتماعية المهمشة¹⁸، لكن وعلى الرغم من صعوبة المهمة إلا أن الأمر يبدو أصبح أكثر من ضروري لاسيما وأن الواقع قد أضحى فوضى دامية وأفاق السيرورة فيه غامضة ولا خلاص من هذا الوضع، ما لم نتحرك في إطار فكر الاختلاف الذي يجر في النهاية إلى خطاب مغاير، مفتوح لا ينجل من طرح الأسئلة الصامتة التي صادرها أهل زمانها وسكتت عنها الأجيال اللاحقة بدعوى أنه تدخل في دائرة المحذور، المحرم ولا شيء يمكن أن يبقى مكبوتا، غائبا، لا مفكرا فيه، بل يجب أن يخضع كل شيء للمساءلة والاستنطاق والفحص، ولا يعني هذا طبعا تدنيس لقدسية هذه الأشياء بقدر ما يعني إعطاء مساهمة جاء في عالم الفكر والوجود، مساهمة تكمن من تجاوز كثير من الصيغ الإيديولوجية والأفكار الميتافيزيقية التي لم تعد حركة الزمن تستجيب لها، والتي ظلت لزمن بعيد حاجزا أمام كل محاولة للإبداع والتجاوز، وكيف لا وهي التي عملت على تكريس ثقافة المطابقة والمماثلة لأجل توطيد علاقات الهيمنة والإخضاع والسيطرة بدل علاقات التبادل والتواصل والتفاعل، هذه الأخيرة - علاقات التبادل ... - هي التي يطمح فكر الاختلاف لتحقيقها والوصول إليها، "ففكر الاختلاف ليس محرما أو إثما، بل هو نداء للتجاوز والإبداع والحوار المتحرر، لأن مجتمعا لا نعترف فيه باختلافاتنا تنازلا نمارس فيه النقد كمهمة فكرية جذرية، هو مجتمع يحاصره الموت من كل جانب، واغتيال للخيال والفعل الإبداعي المتحرر"¹⁹.

والإنسان وهو يتحرك في إطار فكر الاختلاف طالب في البداية باستنطاق ومساءلة أساسيات الذات أولا ثم الآخر ثانيا، إنه بحاجة إلى زعزعة وخلخلة وتفكيك مختلف الرواسب والتراكمات التي تحكم في تحديد وضبط علاقاته المتعددة الأوجه، "والذي ينجح في وعي ذاته هو الذي يستطيع وحسب أن يعي الآخر"²⁰.
بهذه الكيفية يتوسع مجال الحرية الفكرية ويتعمق الوعي في أي حوار سواء مع التراث أو الغرب أو الواقع.

الخاتمة:

يمكن القول - تأسيسا على ما تقدم - أنه بالإمكان تحقيق مفهوم المراجعة وإعادة النظر والبناء من جديد من خلال نقد مزدوج ينصب على ذاتنا فيخلخل طمأنينة هواجسها وأوهامها، ويحاصرها بالأسئلة المسكوت عنها/المهمشة دون خلل ولا تردد حتى نتفادى سياسات الاستقطاب، ونبرز على أننا آخر ذواتنا، لنستطيع بعدها مباشرة نقد آخر، ينصب على الآخر/الغربي بمساءلة مقولاته وادعاءاته المختلفة التي تسعى للدمج والاحتواء أو الاستبعاد والإقصاء ليتم بعدا تحقيق "موقع يفلت من ثنائيات الشرق والغرب، والذات والآخر، والسيد والعبد، والداخل والخارج، موقع يتغلب على الأسس المتعينة، ويكشف عن فضاء لا تكون فيه الهويات منسوبة إلى ثقافات متعينة مسبقا"²¹

بمعنى آخر؛ إنه فضاء تحمي فيه كل التمايزات العرقية والدينية والجنسية والثقافية... إنه فضاء للتلاقي والتواصل والاعتراف يمكننا من تجاوز الصورة الضيقة التي نملكها عن أنفسنا وعن الآخرين من كل الجوانب.

الهوامش والإحالات:

- ¹ محمد نور الدين أفاية، المتخيل والتواصل (مفارقات العرب والغرب)، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1993، ص 139.
- ² صلاح صالح، سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2003، ص 12.
- ³ أدونيس، الثابت والمتحول (بحث في الإبداع والإتياع عند العرب)، ج1، ط8، دار الساقي، 2002، ص 27.
- ⁴ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الإتساق الثقافية العربية)، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2001، ص 191.
- ⁵ عبد الله إبراهيم، المتخيل السرد (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990، ص 95.
- ⁶ علي حرب، الممنوع والممتنع (نقد الذات المفكرة)، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص 15.
- ⁷ محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات (فصول في الفكر الغربي المعاصر)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص 48.
- ⁸ المصدر نفسه، ص 117.
- ⁹ عبد العزيز حمودة، المريا المقعرة (نحو نظرية عربية نقدية)، الكويت عالم المعرفة، 2001، ص 74.
- ¹⁰ نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص 6.
- ¹¹ محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات (فصول في الفكر العربي المعاصر)، ص 119.
- ¹² المصدر نفسه، ص 118.
- ¹³ نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، ص 17.18.
- ¹⁴ محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف في المرأة، الكتابة والهامش، ط؟، إفريقيا الشرق، 1997، ص 78.
- ¹⁵ علي حرب، الممنوع والممتنع (نقد الذات المفكرة)، ص 20.
- ¹⁶ علي حرب، التأويل والحقيقة (قراءات تأويلية في الثقافة العربية، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1995، ص 16.15.
- ¹⁷ محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات (فصول في الفكر الغربي المعاصر)، ص 18.
- ¹⁸ محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف في المرأة، الكتابة والهامش، ص 78.
- ¹⁹ محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف في المرأة، الكتابة والهامش، ص 17.
- ²⁰ محمد خاتمي، حوار الحضارات، تر، سرمد الطائي، ط1، دار الفكر المعاصر، سوريا، بيروت، (د.ت)، ص 76.
- ²¹ هومي.ك. بابا، موقع الثقافة، تر، نائر ديب، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 11.